

الوحدة 11:

نظريات التحليل الدلالي، النظرية الوظيفية

توطئة.

تعددت زوايا النظر للمعنى، وكان اختلاف وجهات النظر وزوايا العمل ملمحا بارزا يميز بين كل تلك النظريات.

أولا/ النظرية الوظيفية النشأة والمنهج وآليات التحليل.

أ/ النشأة.

جاءت الوظيفية في علم اللغة الحديث نتاجا لامتداد آراء الفكر البنيوي، عبر سلسلة من الأعمال والملتقيات التي انبثقت عن أفكار ف. دي سوسير، حيث تشكلت حلقة جديدة لها آراؤها المستقلة، سُميت ب حلقة براغ.

سميت المدرسة بالوظيفية على اعتبار أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي الإبلاغ، فاللغة البشرية كما يقول أندري مارتينييه: تتيح لكل إنسان تبليغ تجربته الشخصية ووظيفة التواصل هي الوظيفة الأساسية للغة بين أفراد المجتمع اللغوي.

تؤدي اللغة هذه الوظيفة باعتبارها مؤسسة إنسانية وجوهرية، رغم اختلاف بنيات اللغات من مجتمع لغوي إلى آخر. فالوظيفة الجوهرية للغة إذا هي التواصل.

ظهرت الروية الوظيفية في النصف الأول من العشرين بمدينة براغ بتشيكسلوفاكيا، في أحضان النزعة الفونولوجية، ضمن نشاطات الحلقة التي سعت إلى إبراز أهمية الوظيفية الإبلابية للغة.

نشأت الأخيرة من اجتهادات "فيلام ماتيويس، v.mathesuisK ورومان جاكوبسون، r.jakobson، ونيكولاي تروبتسكوي n.trobetskoy، ثم انظم إليهم أندري Andrie Martinet في أعمال واجتهادات متكاملة.

ب/ المنهج وآليات التحليل

كان محطّ نظر النظرية هو دراسة نظام اللغة الكلّي بمستوياته الصوتية، والنحوية، والصرفية والدلالية، دراسة وظيفية خالصة¹، ويكون ذلك بالتركيز على الوحدات اللغوية معزولة عن التركيب، ثم النظر في الجانب الوظيفي الدلالي لتلك الوحدات والمقاطع الصوتية؛ التي تجعل من المعنى مقياساً هاماً من مقاييس تحليل النص اللغوي. فالمعنى " يتغير بتغير اللفظ، وهذا يقتضي شيئين في الحقيقة، إذا تغير المعنى فلا بد أن يتغير اللفظ، وإذا ثبت على حال واحدة فلا بد أن يثبت المعنى كذلك. "² وتجعل الوظيفية التواصل والإبلاغ أساس نظرتها إلى اللغة من خلال وظيفتها الأساس، فلا بدّ من النظر إلى اللغة في حالة العمل والتواصل، ونذكر من مبادئها:

أ/. مبدأ الخطية.

تخضع اللغة البشرية للتتالي الزمني، والمنطوق اللغوي هو نتاج من الوحدات الصوتية المتتابعة في الزمن، فلا مجال لنطق صوتين أو أكثر معاً، والفرق في الترتيب هو ما يحدث الفرق في المعنى، فالتركييب (دخل، خلد) و(جعل، لعج) لا فرق بينها إلا في ترتيب الوحدات، الذي ولد تغييراً في المعنى.

ب/ التقطيع المزدوج.

هو ميزة من مزايا اللسان البشري، وهو مظهر لوظيفية الوحدات اللغوية؛ وكل تغيير في إحدى الوحدات الصوتية هو تغيير للمعنى بالضرورة.

¹ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ابن عكنون، ت ن 2005م، ص136.

² خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م، ص86.

والمقصود به هو تقطيع السلسلة الكلامية إلى مستويين؛ الوحدات الدالة، والوحدات غير الدالة

وكلّ عبارة تُقَطَّع على وصفين، فعبرة (نجاح الطالب في امتحانه)
المستوى الأول: (الوحدات الدالة): نجاح + الطالب + في + امتحان + له وتسمى هذه
الوحدات مونيمات

المستوى الثاني: يُقَطَّع الكلام إلى وحدات غير دالة، حيث يتم تقطيع المونيمات إلى
وحدات دنيا-أيضا - مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات وهي محصورة
في كل لسان، ن + ج + ح + ا + ل + ط + ل.

والذي يُكتب لصالح مدرسة التحليل الوظيفي، هو تركيزها على الجانب الوظيفي للغة
سواء من حيث التركيب النحوي، أو الصوت أو الدلالة، وما يجعلها تختلف عن البنيوية،
هو تجاوز منحى الوصف العلمي، إلى التحليل الوظيفي والتفسير الواقعي.³ أسفرت
النظرية الوظيفية عن الكثير من المصطلحات، المبنوثة في كتبها ومؤلفاتها.

ثانيا / ملامح نظرية النحو الوظيفي في الدراسات العربية.

أثبتت النظرية الوظيفية أهمية دراسة علاقة المونيمات فيما بينها، لأنّ معرفة
دلالاتها وحدها لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها وانتظامها داخل
التركيب، وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية.

وهو الأمر الذي قامت عليه نظرية النحو في العربية، ثم نظرية النظم في البلاغة
العربية، فقد بنى عبد القاهر علم البلاغة على أساس من علم النحو والتركيب، واهتم
بالبحث في وظائف الكلمة في التركيب، وأظهر الفرق بين دلالات التراكيب المختلفة،

³أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص155.

كالفرق بين التعبير بالجملة الاسمية والتعبير بالجملة الفعلية، والأساليب المختلفة التي تنبثق عن التركيبين.

في إظهار ما يُستفاد من النظر في إسناد المفردات بعضها إلى بعض قال الجرجاني: "إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف ما بينها من فوائد"⁴ وفي هذا النص مصطلحات كثيرة. إذا كانت مباحث التقديم والتأخير، والحذف، الفصل، والوصل، والتخصيص، تظهر أهمية التركيب في بناء المعنى، فإنَّها من ناحية أخرى تُثبت وظيفة الكلمة في المكان المحدد.

وقد أغنى الجرجاني بحثه بمجموعة مصطلحات الضم، والتأليف، والإسناد، والابتداء، والإخبار والتعليق، والتعالق وغيرها ممَّا جاء في الدلائل والأسرار.

يُعتبر أحمد المتوكل من أبرز من سعى إلى إثراء لسانيات اللغة العربية، بتقديم ما أمكن من أوصاف وظيفية لظواهر نعتها " مركزية بالنسبة لدلالات وتركيبات وتداوليات هذه اللغة وتطعيم النحو الوظيفي، كلَّما مست الحاجة إلى ذلك بمفاهيم يقتضيها الوصف الكافي."⁵

حاول البحث في العلاقات القائمة بين عناصر البنية الوظيفية بمحمولاتها (الفعل والاسم والصفة والظرف).⁶ تميَّز بضخ المصطلح التراثي، ومنه فإنَّ أهمَّ ما ميَّز مشروع المتوكل هو محاورة واستنطاق التراث، بآليات الاتجاه الوظيفي.

- رتبة الوحدات اللسانية:

⁴عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 353 .

⁵ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ت ط 1985، ص14 .

⁶أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ت ط 1986، ص7.

فالنظرة المنطقية تفرض سلطانها على منهج البلاغة مادام النظام اللغوي محكم، ومادام النحو هو تجريد لمنطق اللغة ونظام عملها الدقيق، لذلك فإنّ مشروع دلائل الإعجاز كلّهُ هو في حقيقته بناء على علم النّحو.

المصادر.

- 1/ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ت ط 1985
- 2/ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ابن عكنون، تط، 2005م.
- 3/ خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م، ص86/ عبد
- 4/ القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني.